# الشحر في روايات الأستاذ عمر عوض خريص

**عمر حاج عمر الشعيب***

**الملخص**

الشحر مدينة فارقة في تاريخ حضرموت؛ إذ تعود جذورها إلى أزمنة قديمة وسحيقة ضاربة في قدم التاريخ، مرت عليها أحداث جسام، وواجهتها أزمات عظام.

وقد استلهم الأستاذ عمر عوض خريص أهم الأحداث الاقتصادية والسياسية التي مرت بها مدينة الشحر من القرن الثامن الهجري في روايته (أميرة الشحر)، ثم جال في القرن العاشر الهجري في روايته (السبعة)، إلى القرن الثالث عشر الهجري إذ تدور أحداث روايته (عذراء شكلنزة)، متتبعًا في أثناء ذلك انعكاس تلك الأحداث على أفكار الناس ومعتقداتهم ومدى معالجتهم لها، وأثر ذلك في حياتهم ومعيشتهم، في قالب روائي يمزج التاريخ بالرواية، وتحاول هذه الدراسة تعقب تفاصيل تلك الأحداث وأثرها في مدينة الشحر، مركِّزة الحديث في أثناء هذا التعقُّب عن التقنيات الروائية وأنماطها، وطرائق تشكُّلها في أنسجة روايات الأستاذ عمر عوض خريص، غير مُغْفِلَةٍ التعريف بكل مدينة حضرمية وردت في الروايات قيد البحث، وبهذا يمتزج في هذه الدراسة التاريخ بالنقد.

**كلمات مفتاحية:** الشحر، أميرة الشحر، السبعة، عذراء شكلنزة.

## أولًا: الشحر في التاريخ

الشحر بكسر الشين وتسكين الحاء[1] بلدة بساحل اليمن متصلة بحضرموت، ليس بها زرع ولا ضرع، وأهلها يعتمدون في عيشتهم على اصطياد الأسماك والتجارة، وبه مرفأ للقوارب والسفن[2].

وللشحر تاريخ طويل، هو جزء من تاريخ حضرموت، فقد ذكر المؤرخون أنها صارت بأيدي سبأ في أثناء تمدُّدِ نفوذها، ثم عادت لدولة حضرموت، ثم ملكها الفرس. ولما انتشر الإسلام وفد أهل الشحر على الرسول صلى الله عليه وسلَّم عام الوفود، ثم استظلت الشحر بالحكم الإسلامي أيام الخلفاء الراشدين، ثم معاوية وابنه يزيد، ثم دخلت في طاعة ابن الزبير حتى قُتل، فاستحوذ عليها بنو أمية[3].

وفي فترة حكم مروان بن محمد المعروف بالحمار؛ لكثرة الخارجين عليه وجلده في مقاتلتهم، تمرَّد عبدالله بن يحيى – الذي لُقب طالب الحق – فملك الشحر وحضرموت كلّها، حتى جاءته جيوش الأمويين فمزَّقته، وأعادت الشحر للأمويين إلى أن قضى عليهم بنو العباس[4].

وفي عهد ضعف دولة بني العباس تقلَّبت الشحر بين أياد كثيرة إلى أن تولى أمرها محمد بن سعد أبو دجانة الشماسي، من قبيلة كندية التحمت بالمهرة، فاتخذ من الشحر حاضرة لحكمه وأحكم سيطرته عليها، ثم إنه فكَّر وقدَّر وتجهَّز ليأخذ عدن أخذ عزيز مقتدر، وذلك أن قبائل يافع وآل كلد زيَّنوا له أمر الاستيلاء على عدن، وحسَّنوه وأبلغوه سهولة نيله، ولما وصل قُربَ شواطئها لم يقدر أن ينزل بها؛ إذ أصابت مراكبه رياح شديدة عظيمة، فانفرط عِقدُها وغرق منها ما غرق بما فيها من الرجال والعتاد، وأُسِر محمد أبو دجانة، ولم يزل محبوسًا مقيَّدًا حتى اتفقت والدته سعاد بنت معاشر مع آل طاهر حكام عدن على تسليم الشحر مقابل إطلاق سراحه[5].

وبسبب موقعها الجغرافي المتميز – إذ كانت مدينة الشحر في أوج ازدهارها ميناء حيويًا وبوَّابة أساسية لشبه الجزيرة العربية – أصبحت الشحر مطمعًا للغزاة خاصة بعد الكشوفات البرتغالية لطرق ملاحة جديدة[6].

* باحث.

وفي عام 1224هـ أرسل بنو سعود إلى الشحر حملة بقيادة ناجي بن قملا، فنزلوا شكلنزة وهي (قرية فيها مزارع... وآبار، وبها يخترف كثير من أهل الشحر)[7]، ثم عسكروا بمنطقة الحور[8] بالشحر، ولم يؤذوا أحدًا، ولم يُهلِكُوا حرثًا، وإنما دعوا إلى إنكار التوسُّل بالأولياء ورفض وضع التوابيت على ضرائح الصالحين، وأقاموا أربعين يومًا ثم عادوا لبلدهم[9].

لقد شكلت هذه الأحداث مادة دسمة للأستاذ عمر عوض خريص؛ ليستقي منها ويشكلها وفق رؤيته الفنية الخاصة، إذ يقول في أحد عتبات رواياته أنها عرض وتفسير لحادثة الغزو البرتغالي على مدينة الشحر في العاشر من ربيع الآخر عام929هـ الموافق 28 فبراير 1523م، وكل الشخصيات الرئيسة فيها شخصيات حقيقية حسب ما أوردته المصادر التاريخية، وتأتي الشخصيات الثانوية استكمالًا للبناء الفني[10]، ويصرِّح في عتبة إهداء روايته (أميرة الشحر) أنها مُستمَدَّة من تاريخ مدينة الشحر العريقة[11]، وفي تصدير رواية (عذراء شكلنزة) بيان أن أحداثها تدور فيما يُعرَف في السياق التاريخي الحضرمي بـ(الغزو الوهَّابي لحضرموت)[12].

إن علاقة التاريخ بالرواية وثيقة من ناحية، وواهنة من أخرى، فالتاريخ منهل ينهل منه الروائيُّ فيبدع روايته، فلا يُعدم التاريخ في طبيعته وبنيته ملمحًا روائيًّا مهما طغت أشكال التوثيق، والرواية في الوقت نفسه ليست تاريخًا محقَّقًا يُوثَق به، وإن كانت كتب المؤرِّخين مصدرًا يَستَمِدُّ منه الروائيُّ بنية الحكاية التي يشكلها في خطاب روائي، فتحمل الرواية – في أحايين كثيرة – عناصر تاريخية واضحة من رصد الوقائع وتسجيل للأحداث، إذن ثمَّة علاقة جدليَّة بين التاريخ والرواية[13]، فالتاريخ يجسد ما كان، والرواية تجسد ما ينبغي أن يكون، وعليه فالتاريخ والرواية يتفقان في مظان ويختلفان في أخرى، فهُما يتفقان في أنَّ كُلًا منهما بنية حكائية واحدة، ولكنهما يختلفان في طبيعة الخطاب، وبنية الحكاية هي الأحداث والشخصيات وما بينها من علاقات، وهذه تتعدد مصادرها من مجريات تاريخية وأساطير خرافية وأقاصيص شعبية، وبنية الخطاب هي طرائق تشكيل بنية الحكاية، وبها تتجلى فنية الرواية[14].

وفيما يأتي تعريف بالأستاذ عمر عوض خريص ثم بكيفية تشكُّل الشحر في رواياته فنيًّا.

**ثانيًا: الأستاذ عمر عوض خريص ومؤلفاته ورواياته**

عمر عوض خريص من مواليد الشحر 1961م، نشأ وترعرع وتشنَّف في مدارسها ومعاهدها، أسس جمعية الشحر للثقافة والتراث عام2017م، عمل مديرًا لتحرير مجلة سعاد الثقافية، تولَّى أمانة المالية لاتحاد أدباء وكتاب الجنوب– فرع حضرموت، ورأسَ اللجنة الثقافية لمؤتمر حضرموت الجامع، يدير الأمانة العامة لنادي الشحر الأدبي الذي تأسس في يوليو 2021م، له من المؤلفات: دموع من حضرموت (قراءة في الرثاء الشعبي)، حكايات وأسرار من صالون المحضار، حصاد الفكر (أوراقي في الثقافة والتراث)، يا حضرموت الحب (ديوان شعر شعبي)، وله عدد من الروايات منها: أميرة الشحر، السبعة، عذراء شكلنزة، ليالي أبو قمر[15].

**ثالثًا: الشحر في روايات الأستاذ عمر عوض خريص**

**الشحر في رواية (أميرة الشحر)**

وقعت أحداث رواية (أميرة الشحر) في القرن التاسع الهجري، حين حكمت الأميرة سعاد بنت معاشر أمُّ الأمير محمد بن سعيد بن مبارك بادجانة، وكانت امرأة ذات حزم وعزم، وقد نهته عن غزو عدن، فلمْ يُصغِ لكلامها، فكان ما كان من ضياع ملك آل أبي دجانة[16].

ورواية أميرة الشحر مبنية على المراوحة بين نظامين:

– النظام الأول: تطابق الراوي مع موقع شخصية ما

مثل الأميرة سعاد والوزير ابن تايه.

– النظام الثاني: اللا تطابق مع أي شخصية، فيحتل الراوي موقعًا متعاليًا على الشخصيات.

تستهل رواية (أميرة الشحر) بالتزام الراوي مكان الأميرة سعاد، فيتابع حركتها وهي تغادر سريرها، مظهرًا محتويات جناحها الأميري المصنوعة من أرقى الخامات؛ ليُجَلِّي فخامة ملك آل أبي دجانة وأُبَّهتَه، ففرشه قطني وأغطيته حريرية ووسائده محشُوَّة بريش النعام وطرحه مزخرفة مزدانة بالنقوش وستائره من شقائق النعمان وكنبه ناعمة وكراسيه مصنوعة من الساج، ويتلبَّس الراوي مدركات الأميرة سعاد من خلال الأفعال الماضية (مدَّت، حدَّقت، قلَّبت، وسَّعت،...)، فيشغل بال القارئ بأنَّ ثمَّة ما يقلق الأميرة خاصة، وأنها قد اعتادت رؤية مشهد البحر من شرفة قصرها الخشبية الأنيقة كلَّ صباح؛ إذ تنشط الملاحة في ميناء الشحر مستوردةً ومصدِّرة مختلف البضائع من وإلى الهند والملايو وشرق أفريقيا[17].

يُجَلِّي الراوي ما يعتمل في ذهن الأميرة سعاد وخوفها من تغير ابنها الذي لم يعد –كما كان– يحدثها بكل صغيرة وكبيرة في الإمارة، فيسترجع الراوي أحداثًا ماضية بواسطة تذكُّر الأميرة سعاد لزوجها سعد وما تركه من مجد وسؤدد، وما إن يصدر صوت تنبيهي بقرع باب غرفة الأميرة حتى يتناوب الراوي بين الأميرة سعاد وجاريتها نور ناقلًا الحوار بينهما، وهو حوار يفشي ما يدور في القصر من قصص عشق وغرام بين الجواري والقادة، فيتخلله صفات تقويمية صادرة عن الأميرة سعاد كُلًا حسب موقعه منها (الخبيث، الفار، الهارب، ماكرة، القائد العاشق)، ثم ملتزمًا موضع نور فيتجلَّى المونولوج المروي من خلال فعل الشعور؛ إذ يعكس الراوي أفكار نور وتأمُّلاتها، مهتمًا بجوهرها لا شكلها[18]، والهدف من هذا المونولوج كشف عمق الارتباط وقوة الثقة بين الأميرة سعاد والجارية نور، وهو ما يظهر عند تقويم الجارية في أعماقها لمولاتها، وفي نهاية اللقاء تأمر الأميرة سعاد جاريتها بإبلاغ القائد ابن عفار رغبتها في مقابلته في حديقة القصر[19].

عندها يتغير موقع الراوي فيشاهد القارئ ابن عفار يتسلل خلسة إلى حديقة قصر الحريم الأميري؛ كي يقابل الأميرة سعاد، ويبين الشائعات التي تقول إن الأمير محمدًا يسعى لتوسيع ملكه داخل حضرموت، ومنها ما يدَّعي أنه يتجهز لغزو عدن، وتستمر مرافقة الراوي لصالح بن عفار إلى المسجد، حيث يلتقي بالوزير سليمان بن تايه، فيتحول الراوي ليلتزم موقع الوزير، وهو يخرج من المسجد، ويجتاز السوق مرورًا بمنصور الشحري كبير تجار الشحر الذي وجده كعادته مُتَّكِئًا على أريكته الخشبية أمام متجره، يراقب عمَّاله، ويردُّ السلام على العابر، وبجواره السيد جعفر العلوي، أحد فقهاء الشحر، يتبادلان بعض الحديث ونتف الأخبار[20].

يشترك الثلاثة في حوار محتشد بالتقويمات الأيديولوجية، فالسيد جعفر العلوي بركة المجلس، يوزِّع الدعوات بحب على المُجالِس له والمارِّ عليه، لكنه الآن يُخفِي امتعاضه من زائرهم سليمان بن تايه وزير الدولة الذي ينبري السيد العلوي بتقويم أيديولوجي صريح له ولنسبه ولسياسته ولتعييناته (نحن أهل الشحر يا سليمان، أنت مِنَّنا وفينا، من قبل كان الأمير مهري والوزير والعسكري مهري، يوم جيت أنت فرحنا، صحيح الأمير مهري بس الوزير شحري، يعرف أصلنا وفصلنا، يعرف همومنا ومشاكلنا، ونحسبك لنا مش علينا–وهنا يرد عليه الوزير– كلامك فيه اللي فيه... ويحتاج تمحيص)[21] ، مدركًا أنه قد استطاع أن يستفز السيد جعفر العلوي ليفصح عمَّا يُكِنُّه، وليتأكد من صحة ما سمعه عن توجُّهات السيد السياسية، وهو يدري أن هذه الوقفة لا تفي

بالغرض، ولكنها الفرصة السانحة، فالسيد جعفر العلوي لا يرتاد الديوان الأميري، ولا يخالط أهل الدولة، وإنما ترصد نشاطه السياسي عيون الأمارة.

يغادر الوزير ابن تايه، فيلتزم الراوي موقع التاجر الشحري وجليسه السيد العلوي بتوظيف الأداة (أمَّا) لتكون فاصلًا في الانتقال بين الشخصيات، فيكشف ما يخفيانه عن الوزير من خلال استعماله لمدركاتهما المتجلية عبر ألف الاثنين، ثم بدأ الحوار بينهما بطلب من التاجر منصور بعدم (محارشة سليمان) كذا من دون ألقاب، والتسمية وجهة نظر، وتحمل في طيَّاتها أيديولوجيا مطلقها، وبعدها يتجلَّى المونولوج المروي عند السيد العلوي بواسطة الفعل (عرف)، وهو مونولوج مليء بالتقويمات الأيديولوجية التي تجلِّي توجه السيد العلوي، فيطمئن السيد العلوي جليسه الشحري مستمدًا الأيدي لتقويم الوزير من الأمثال الحضرمية (هذا خبز يدي والعجين)[22] ، ولكن عندما أطلَّ مبروك المجنون الملقب بالحندبور؛ لكثرة حركته، لكز الحاج منصور مرافقه مستخدمًا الشفرة الحضرمية (سالمين كل تمر)[23] ، فهذا الحندبور جاسوس، وكل أهل السوق قد أدركوا ذلك من تنصُّته لحواراتهم، والحيونة[24] هنا موقف تقويمي جمعي من سياسة الدولة الاستخباراتية، ورغم صمت العلوي لكنَّه ظل بقلبه مقوّمًا لآل أبي دجانة، وتتجلى رؤية العلوي التقويمية من خلال استبداله (الذين ظلموا) من الآية الكريمة[25] بـ(آل أبي دجانة)[26].

يتخذ الراوي موقعًا متعاليًا عن الشخصيات؛ ليصف حصن آل أبي دجانة من عَلٍ، مما يمنح لمحة شاملة[27]، فيقدّم نبذة مختصرة عن الحصن وحكامه مقوّمًا لهم تقويمًا إيجابيًا؛ فهم أمراء عزٍّ، وقادة بطولات، على خلاف تقويم السيد العلوي، ثم يتحرك بعملية (zoom) لنظرته العلوية للقصر، فيشاهد توافد الشيوخ وقادة الجند وكبار الموظفين، مركِّزًا على الشيخ مبارك الكلدي الذي أقبل في كامل هيبته ووقاره، وقد تمنطق بخنجره وتقلَّد سيفه، ومن بين كل الشخصيات الداخلة للقصر، يلتزم الراوي موقع ابن عفار ليُقوِّم الشيخ مبارك الكلدي، ثم يعود الراوي إلى الشيخ مبارك الكلدي، ولكن من دون الكشف عن أفكاره إلى أن يفضحها حِوَارُه مع الأمير محمد وما تمَّ الاتفاق عليه بينهما من غزوِ عدن، عندها فقط يلج الراوي إلى أعماق الشيخ مبارك؛ ليوضح أنه شخصية دنيئة، مبتغاها الانتقام والتنكيل[28].

بعد انصراف الكلدي لم يمهل الحاجبُ الأميرَ محمَّدًا ليسرح بخياله وأحلام يقظته؛ إذ أعلن وصول الوزير ابن تايه، الذي باغتَه الأميرُ برغبته في غزو عدن، فما كان يحسب أنْ يُقِرَّ الأمير هذا القرار بهذه السرعة، من دون أخذ الوقت الكافي للمداولة والمشاورة، محاولًا إثناءَهُ عن عزمه في غزو عدن، وتبيان حقيقة مشورة الكلدي، ولكن من دون جدوى؛ إذ انبرى الأمير محمد مهدِّدًا بقبضة يده مُتَّهِمًا له بالخَوَر والجُبن رغمَ لِينِ النَّصيحة، فقد أشعل الكلديُّ الطمعَ في نفس الأمير محمد، مُصَوِّرًا أن عدن لقمةٌ سائغةٌ سهلةُ المنال، في حين هي كما يرى الوزيرُ ابنُ تايه – متفقًا في ذلك مع القائد ابن عفار والأميرة سعاد وكل ذي لب – مغامرةٌ غيرُ محمودة العواقب ولا مدروسة المخاطر[29]، ومن المشهدَيْنِ يبدو الفارق بين الشيخ الكلدي الذي جُلُّ همِّه الثأر من أبناء عمومته وإذكاء الصراع اليافعي، وبين الوزير ابن تايه المهتمّ بسلامة مولاه وصون مملكته.

يُبلِغُ ابن عفار الأميرة سعاد عن ما عزم عليه الأمير محمد، فتنهض غاضبة، وتخطو خطوات متئدة مطرقة رأسها؛ إذ كيف يقرِّر ابنُها غزوَ عدن، وهو يعلم رفضَها وصعوبة تنفيذه وخطورته، ولا سيما أن الدولة الطاهرية في أوج قوَّتها، وهنا يلج الراوي إلى خلد الأميرة سعاد وهي تتأمل الأمور، فترى تعبئة الكلدي

لولدها، ناقلًا صورة لحركتها وهي تذرع الغرفة ذاهبة آتية، تقلب الأفكار، لعلها تهتدي لحل هذه المعضلة؛ ليكُفَّ ابنُها عن هذا الأمر الخطير، وتبدأ خطتها بالحوار مع الأميرة منى مستشرفةً المستقبل، ففي غزو عدن الهلاك الماحق وضياع الملك، مُقَوِّمة ابنها الأمير محمدًا بأنه عنيد وأنَّ إقناعه صعب، وتكتفي الأميرة منى بنسخ كلام زوجها الأمير محمد وترديده مع خوفها عليه، في حين كان زوجها يخاف من فوات الفرصة التي أتت إليه لترفعه إلى مقامات عالية من المجد والسؤدد، فتتفق المرأتان على توحيد صوتهما، في محاولة لإقناع الأمير محمد وإثنائه عن غزو عدن، وحين يجتمع الثلاثة يبدأ الأمير محمد بملاطفة أمه لتنزل عند رأيه، فتأييدها له من مقدمات النصر، لكن الأميرة سعاد أدهى من أن تلين بمجرد استعطاف، فالفيصل عندها دراسة الأسباب وتأمُّل العواقب، مقارِنة[30] بين القوتين في العدد والإمداد، فآل طاهر في عنفوان دولتهم وهم أكثر جندًا وعِتادًا بالإضافة إلى كونهم يقاتلون على أرضهم، أما عسكر آل أبي دجانة فهم الأقل، وبين عدن والشحر مسيرة شهر، فلا مددَ يصل إليهم عند الحاجة، في حين يبيّن الأمير محمد ما يطمح إليه من قيام مملكة تمتد من عدن إلى المهرة، وأن كل خطوة محسوبة؛ إذ أمضى شهرًا في دراسة الخرائط، مستظهرًا أنه لم يترك أي ثغرة، وأنه عمل كل الاحتياطات، وجيشه على أتم الجاهزية، وحين رأت الأميرة سعاد تشبُّثَه، وأنْ لا مجال لإثنائه عن قراره دعت له بالنصر[31].

ينقل الراوي تنسيق الاجتماع الذي دعا إليه الأمير محمد، فيتتبع الخدم وترتيبهم وإعدادهم القاعة الكبرى؛ استعدادًا لحضور رجال الدولة وأعيان الشحر، ثم يركز الراوي – كعادته – على القائد ابن عفار، الذي يستقبل المدعُوّين، ويرشد كل واحد إلى مكانه، حتى كادت القاعة على وسعها أن تكتظ بالحاضرين، وهنا يصيحُ الحاجب؛ ليبشر بقدوم الأمير محمد والأميرة سعاد، ويصفهما الراوي من موقعه، فالأمير محمد مهاب الطلعة، متوشِّحًا سيفه، فاردًا صدره في زُهُوٍّ وكبرياء، يحاكي الشموخ، وينبئ عن عزيمة وإصرار، أمَّا الأميرةُ فبدَتْ في شرخ الشباب، يَبُزُّها طولُها وعرضُ منكبَيْها، مُرتَدِيَةً فستانًا أنيقًا أحمر اللون قانيًا من الحرير، ومطرَّزًا بقصب الذهب، تَجُرُّ ذيلَه وراءَها، وعلى رأسها غطاءٌ ورديُّ اللَّون، يستر شعرها، وتَنتَقِبُ نقابًا خفيفًا[32].

بدأ الاجتماع، وأعلن الأمير للحاضرين رغبتَه في غزو عدن، وتنصيب أمِّه سعاد أميرةً للبلاد، ثم استمع الحاضرون لكلمة الأميرة سعاد، وهي كلمة شدَّدت فيها على أن العدل أساس حكم آل أبي دجانة، وأنها لن تميل عنه قيد أنملة، داعية كل رجالات الدولة أن يشمّروا عن ساعد الجد والاجتهاد مبيّنةً سياستها (لكل مجتهد ومخلص عندنا حظوة وجزاء شكور، ولكل متوانٍ وفاسد غلظة وعقاب وثبور)[33]، فضجَّت القاعة (سنظل أوفياء)، وعندما انتهى الاجتماع وانصرف الجمع، استبقت الأميرة الوزير ابن تايه والقائد ابن عفار لتشاورهما في سياسة الدولة الخاصة[34].

يلازم الراوي الأميرة سعاد ليصوّرَ خوفَها على ابنها، فهو مُقدِمٌ على مغامرة جريئة، ثم ينتقل للأمير محمد ليصف تشوُّقَه لفتح عدن، ومن ثمَّ يرسم حركة الجند وهم يتجهَّزون للإبحار، وحين أذَّن الفجرُ تأهَّب المحاربون للصلاة ثم الانطلاق إلى عدن، ونهضت الأميرة سعاد والأميرة منى لوداع الأمير محمد، الذي تقلَّد سيفَه، ونصب عمامته الأميرية، ومن ثم يتحوَّل الراوي إلى موضع الأميرة سعاد وهي تُطِيلُ قُنُوتَها وتدعو لابنها بالتوفيق، وما إن انتهت من الصلاة حتى أطلَّتْ من شُرفَتِهَا، وهنا يقطع الراوي الحكي مُقدِّمًا معلوماتٍ تاريخيَّةً (هذه الشُرفة تُطِلُّ على البحر، الذي يَبعُدُ عن القصر بحوالي نصف كيلومتر، وبين قصرها

والبحر ينتصب مسجد الجامع، هذا المسجد الشهير الذي أُسِّسَ بناؤه في السنة العاشرة من الهجرة النبوية، فهو من أقدم المساجد في جنوب شبه الجزيرة العربية)[35] ، ثم يعود إلى موقع الأميرة سعاد فتشاهد الجند في الميناء، حيثُ السفنُ والزَّوارقُ الحربيَّةُ حتى استكملت طاقمَها، وأطلقت أشرعتَها، وبدأ إبحارها شيئًا فشيئًا حتى غابت عن أنظار الأميرة سعاد[36].

يترك الراوي السفن وأميرها، ويظل في موقع الأميرة سعاد وهي قافلة إلى غرفتها لتتناول فطورها، فهو يعرف عادتها في اشتهاء خبز الذرة (القضوض)، مع العسل والزبدة وسمك الغودة، لكن في ذلك الصباح لمْ تستسغ الأكل، بل هيأت نفسَها لبدء مهامها أميرةً للبلاد، وأول ما بدأت به تهيئة مظهرها الخارجي، فالشكل والمضمون عنصران لا يفترقان، بل يدل أحدهما على الآخر؛ إذ نادت جاريتها نور أن ترتب لها فستانها الأصفر الحريري المُوَشَّى بخيوط الذهب، والمزخرف بالنقوش الوردية، والمزين بالوشاح الأبيض وغطاء الرأس الوردي، في حين توجهت إلى الحمَّام المُعَدِّ بأدوات التنظيف والزينة من الصابون والغسَّة الغيلية[37] وزيت الشعر والمشط والمناشف[38].

ينادي الحاجب بقدوم سمو الأميرة سعاد، فيقف الأربعة (الوزير سليمان بن تايه، والقائد صالح بن عفار، وأمين دار المال الشيخ عبدالله بأفضل، ومسؤول التخابر وأمن الدولة أحمد بن زياد) احترامًا لها، أشارت إليهم فجلسوا، وأمرت بالقهوة فصبَّها الخدم، وحينها بينت لهم أن سياستها في الرعية متكئة على جلب المصالح ودرء المفاسد، سائلة كل مسؤول منهم عن عهدته، وكل منهم يجيبها وتبدي لهم رأيها وتطلب منهم رأيهم، وأمرهم شورى بينهم، وكان الاتفاق سائدًا، إلى أن جرى الحديث على السيد جعفر العلوي، فيؤكد مسؤول التخابر ابن زياد أن السيد جعفرًا رجلٌ ساخطٌ لا يُرضِيهِ شيء، وهو يلمز آل أبي دجانة في كل شاردة وواردة؛ لذا ينبغي أن يُؤَدَّب؛ ليكون عبرة، تتفهم الأميرة قول ابن زياد، وتطلب مزيد شورى من الوزير ابن تايه، الذي يُقوِّم السيد جعفر العلوي، فيراه يستميل الناس ضد آل أبي دجانة، وهو مسموع الكلمة، ونَقدُهُ لاذعٌ، وسخطُه غليظ، وتأديبُه ضروري، فتمتدح الأميرة رأي جلسائها ولو كانت مخالفة لهم في الطرح فلم يقولوا إلا حقًا، ولكنْ سياستُها ألهمتْها بتعيين السيد العلوي بالأوقاف فهو الرجل المؤتمن[39].

وبعد أنِ انصرف المستشارون، أُعلمت الأميرة بوصول العلوي، فإذا هو بَهِيُّ الطلعة، طويل القامة، يلبس جُبَّةً بيضاء، ويتوشَّح شاله الأخضر، وعلى رأسه عمامة بيضاء، ذات الذبالة الخاصة بعمائم الفقهاء، وابتدأ الحوار، الأميرة تفصِّل فضله وهو يتواضع، فتبلغه بأنها تُعيِّنُهُ قائمًا على الأوقاف ومتولِّيًا الفتوى وراعيًا لمديري تحفيظ القرآن والفقه والكتابة والقراءة، موضحة طبيعة العطاء الأميري لهذه المهمة؛ إذ خصَّصتْ له دارًا بشرقي المسجد وخمسة دنانير وحصانًا ليركبه في عمله، ثم يعلِّق الراوي على وظيفة السيد العلوي بأنها إدارة جديدة مستحدثة في الإمارة، فقد كان الأهالي هم من يهتمون بالمساجد وأوقافها ولا يتدخل الحاكم في شيء منها[40].

لقد أدت سياسة الأميرة إلى انعاش الحياة في الشحر، فينقل الراوي التحديث الذي طرأ بمقارنته بما كان، فهذه السوق لمْ تَعُدْ كما كانت خاملة ضئيلة، بل هي اليوم كثيرة الحركة، وأصبح هذا المُنجَزُ حديثَ الأهالي في مجالسهم وتجمُّعاتهم في الأسواق والأماكن العامة، ويأخذ الراوي عيِّنةً من ذلك السوق، مُقَرِّبًا عدستَه من متجر منصور الشحري، الذي أضحى أكثرَ بهجةً وإشراقًا، في حين كان يشتكي من غلاء الأسعار وقلة المشترين[41].

يزور السيد جعفر العلوي صديقه منصورًا معاتبًا له

عدم استعلامه عنه، ويجري بينهما حوار يدل على أن وظيفة المسجد تتجاوز أداء الفرض، وإنما هو مكان للالتقاء بالمسلمين والسؤال عن أحوال بعضهم، ويُظهر الحوار فلسفة السيد العلوي تجاه نظام حكم الأميرة سعاد (رضاي وغضبي يتعلق بسلوكهم لا بشخوصهم، فإنْ أحسنوا رضينا عنهم، وإن أساءُوا غضبنا منهم)[42]، ويأخذ الحديث يتشعَّب بين الصديقين فيتناولان غزوة عدن، ومصير آل أبي دجانة الذي سيتوقف على نتائجها، ثم يتطرَّقان لرؤى الأميرة وتطلُّعاتها، إلى أن يقطع حوارهما منادي الأمارة وهو يقرع صُحنَه النحاسي؛ ليعلن للناس تعليمات الأميرة وتعييناتها، ومنها تعيينها في منصبين مهمين، وبانتهاء الإعلان ساد الهرج والمرج بين الناس، لكنهم جميعًا قوَّموه بالاستحسان والإعجاب، فالقرارات الجديدة تُعِيدُ توازن الحياة المعيشية، وترفع عن كاهلهم التكاليف الباهظة، مما يعود بالنفع على البلاد والعباد، ويؤوب الراوي لتعليق كل من العلوي والشحري على تعيينات الأميرة، فيتفقان أنه عهد جديد انتهى عهد الحندبور، وأقبل عهد الفرح والسرور، وكبرتْ فيه الشحر وتوسعت، وصارت الحواري مليئة بالسكان والعاملين، ومنها حارة الرملة التي أصبحت مأوًى لكثير من الصيَّادين، وحارة الحور التي سكنها أهل المال والتجارة[43].

يتحول الراوي من السوق إلى قاعة العرش، حيث الأميرة سعاد تُدِيرُ البلد برؤية واقتدار، وتتلقَّى التقارير من المسؤولين كلًا حسب توجُّهه، فإذا بها تشير إلى أنَّ الأمور في أحسن حال، ولكن الأحداث تأبى عليها ذلك، إذ يأتيها نبأ أسر الأمير محمد، وفشل حملته، على لسان أحد الناجين الذي يسرد أحداث المعركة، ويبين أن سبب الهزيمة يكمن في تهوُّر الأمير محمد[44].

يمضي عام ونيِّف على سجن الأمير محمد، وتجهَّز الطاهرون لغزو الشحر، واستعدَّتِ الأميرةُ سعاد من خلال استتباب أمن الإمارة وتعزيز أسلحة الجيش، ولكنَّها لم تُفلِحْ في التفاوض مع آل طاهر، فلم يقنعوا بخراج ميناء الشحر عامًا، بل يريدون الشحر كُلَّها، وما زالوا يَعُدُّون العُدَّة لاحتلال الشحر، فيلجأ الطاهري للحيلة؛ إذ يعرض اقتسام مدينة الشحر، فجمعت الأميرة مجلس الشورى الذي ثار فيه الجدل والاعتراض، ولكنْ لا مناص من النزول على عرض الطاهريين، وإن ساورت المجلس الشكوكُ وتوقُّعُ الغدر منهم، وهو ما كان؛ إذ لم يوفوا بوعدهم في إطلاق سراح الأمير محمد، مما أغضب الأميرة سعاد، وتحضرت لمقارعتهم، لكن مجلس الشورى رأى تأزم الموقف فتدخَّل؛ ليقنع الأميرة بتسليم المدينة وحقن الدماء، وذلك بعد أن يصل الأمير بلدة حيرج[45] سالمًا، ويروي الراوي مونولوجًا مرويًا جمعيًا، تختلج به أفئدة أهل الشحر، فهم يجهلون حقيقة آل طاهر ومعاملتهم، لكنهم يعلمون علم اليقين عدل الأميرة سعاد وحسن سياستها ورخاء حكمها؛ لذا اشتد حزنُهم على مغادرتها الشحر، ويحتل الراوي في الموقف الأخير موقع الأميرة وهي تصعد سفينة نفيِها، والناس قد ملأوا المكان واعْتَبَرُوا، وهي تلوحُ لهم بيدها، حتى غابت عن عيني الأميرة ملامحُهم، لكنها بقيت شاخصة ببصرها حتى أفلتْ مدينة الشحر[46].

**<u>الشحر في رواية (السبعة)</u>**

تتناول الرواية الغزو البرتغالي للشحر عام929هـ، وتبدأ بمرافقة للأمير مبروك بن سلمان أمير بحر الشحر، إذ تنتابه الهواجس بعد رحيل السلطان بدر أبو طويرق مع جيشه إلى وادي حضرموت، فخلت الشحر إلا من حامية صغيرة ضعيفة من الشيوخ والعجزة، غير قادرة على ردع أي هجوم، وبحسب ما أخبرتْه العيون فإن الأسطول البرتغالي يمخرُ ببحر العرب، ويهاجم السفن، ويغزو المدن، ويقتل ويحرق، فتقترح زوجة مبروك أن يُطلِعَ الأمير مطران، وأن

يجمع أعيان البلاد لتدارس الوضع، وتهيئة المواطنين لأي طارئ، مؤكِّدةً أنْ لن يدافع عن الشحر غير أهلها، وهو ما يكرّرُه زوجُها[47]، وبهذا تبرز مشورة المرأة الشحرية الحكيمة.

يستيقظ أمير بحر مبروك من نومه على تراحيم السحر من المسجد المجاور لبيته، فينهض ويرتدي قميصه، ويتمنطق بحزامه وخنجره وجنبية حضرمية فضية مُحكِمًا عمامته، فيشكل الراوي اللباس الشحري في ذلك الزمن، يغادر مبروك بن سليمان بيته، مقررًا الصلاة في مسجد الغالبي، ففيه يصلي الأمير مطران، يلجُ في طريقه على السوق، سالكًا الطريقَ السُلطانيَّةَ التي أمر السلطان بدر بتعبيدها وتظليلها وتشجيرها، وعلى طرف السوق يقع مسجد الغالبي، فيدخله مع أذان الفجر[48]، وبهذا يرسم الروائي المنطقة الواقعة بين بيت مبروك ومسجد الغالبي.

بعد الأذان ولج الأمير مطران فلمحه الأمير مبروك وأشار إليه مُسَلِّمًا، وما إن انقضت الصلاة حتى تصافح المصلون، وهذه المصافحة الجماعية عادةٌ توارثَها أهلُ الشحر بعد البردين الفجر والعصر، فهرع أمير بحر إلى الأمير مطران مبينًا له أن لصلاته في الغالبي قصدًا، فخرج الاثنان من المسجد إلى ديوان الحكم، ودخلا الغرفة التي ينفرد فيها الأمير بمن أراد للتباحث، فبادر مبروك بأنَّ ما يقلقه هو فعائل البردجيز[49]، فمجيئُه اليوم لعمل الاحتياطات اللازمة، وهنا يبين له الأمير مطران أنه قد فاتح السلطان بدرًا، بيدَ أنَّ السلطان يميل إلى المهادنة، ولو بدفع شيء من خراج المدينة، فيقترح مبروك على الأمير مطران استدعاء أعيان الشحر السبعة، وهم (الشيخ أحمد بن عبدالله بافضل، الشيخ يعقوب بن صالح الحريضي، الشيخ سالم بن صالح باعوين، الشيخ حسين بن عبدالله العيدروس، الشيخ أحمد بن فضل بافضل، الشيخ فضل بن رضوان بافضل، الشيخ عمر بن دحران)، لمناقشة الأمر[50].

يقطع الراوي الأحداث ليوضح الأوضاع الاقتصادية والسياسية للشحر، فالمدينة في أوج ازدهارها بفضل سياسات حكيمة ورشيدة، بيد أنَّ ثمة جواسيس فيها، منهم كاستنهيدا، الذي عدَّه بعض الدارسين مؤرِّخًا، وهو مقرِّرٌ يرفع تقاريره للغزاة؛ إذ أرَّخ رسالة فيها ما يهيج رغبتَهم في الشحر، والراوي في أثناء ذلك يتبنَّى أيديولوجيا منظومة المدافعين، ويظهر ذلك من خلال تكراره مفردات (غزو، هذا الكاستنهيدا، طمع، يتخابر، الخطر)[51].

يفد السبعة على ديوان الأمير مطران، فيبين لهم وضع الشحر في حال هجوم البردجيز، طالبًا منهم المشورة، وعندما تيقَّن أهل الشورى خطورة الموقف، وأدركوا أنْ لا بُدَّ من التدبير له، اتفقوا جميعًا على الاستعداد وشحذ همم الناس للدفاع عن دينهم وأرضهم وعرضهم. بينا هم في همهم قطع الحاجب الاجتماع؛ لأن ثمة رسالة من الأمير عطيف بن دحدح عبر الحمام الزاجل الذي لا يُؤَخر تقول إن الأسطول البرتغالي مرَّ ببحر قصيعر[52]، وأحرق ثلاثَ سفنٍ، ثم اتجه للشحر، ولم يمضِ وقتٌ حتى استدعى الأمير مطران السبعة لاجتماع طارئ؛ لأن البرتغاليين وصلوا الحامي[53]، حسبما وردتْه برقيةٌ تُخبِر بأنهم أحرقوا هناك ونهبوا، وقتلوا، وأضرموا النار، فضجَّ السبعة بما سمعوه واشتعلت فيهم الحمية، وتدل الرسائل التحذيرية على علاقات الشحر الطيبة مع بعض الإمارات الشرقية المجاورة[54].

ينتقل الراوي إلى البردجيز –مرافقًا لهم، ولكنه مضاد لأيديولوجيتهم– وهم يعاينون المناظير، ويدركون غنى الشحر وأهمية موقعها، فهي بوَّابة حضرموت، ومن ملكها ملك حضرموت–في إشارة ذكية من الروائي إلى جهل أبي طويرق واهتمامه بسيئون[55] المدينة المنزوية في الوادي– بيد أنها حصينة وأهلها أشداء،

وهو ما يثير مخاوف القائد لويز، فلولا مَدَدُ الشحارية لكان للبردجيز سلطان على كل البلدان المطلَّة على بحر العرب، لكنَّ الأخبار التي جاءته بأن السلطان أبا طويرق غادرها وأخذ جيشه معه، ففتحت شهية هذا القائد، فالفرصة سانحة للاستيلاء عليها، فيفرد خريطة للشحر وحاراتها تبين تحصيناتها، راسمًا خطة الغزو[56].

توزع السبعة وطلبتهم في المساجد، وخطبوا في الناس مذكِّرين لهم بالجهاد والذَّود عن الأرض والعرض، ويرافق الراوي أمير بحر مبروك وهو يتفقَّد الاستعدادات العسكرية البحرية التي تقع في نطاق اختصاصه، فيحث على تشديد المراقبة لكل قادم عن طريق البحر، معزّزًا برج المراقبة بمراقبين، موجّهًا ثلاثة زوارق في اتجاهات مختلفة لرصد أي سفن قادمة إلى الشحر، وقد آبت الزوارق بخبر رسوّ سبع سفن برتغالية قبالة العيص[57]، وحينما سمع أمير بحر مبروك الخبر هرول إلى برج المراقبة ورأى السفن الرأسية وعددَها، مقدِّرًا ما تحمله من أسلحة وجنود، فانطلق يُعلِم الأمير مطران، الذي استشف أن حالة التروِّي عند البرتغاليين دليل على أنهم يمهِّدون لغزو المدينة لا لغارة عابرة، وهنا يرى أن السياسة قبل الحرب، ولو بدفع بعض المال والهدايا[58].

وسرى بين الأهالي خبر تربص البرتغاليين بالشحر، فبادروا إلى شراء المواد الضرورية، فشهدت الأسواق حركة شرائية كبيرة، وعزَّز الأهالي أبواب بيوتهم، وزاد التجار حراس حوانيتهم، وبادر عقال الحارات إلى تعيين حراسات أهلية، مكثفين مراقبة البحر، وموقع الراوي متراوح بين البرتغاليين والشحريين على مدى سرد الأحداث، غير أنه قد يلازم شخصيات بعينها، مثل الأمير مبروك والأمير مطران، يبحر طاقم البرتغاليين نحو الشحر، تتقدمهن سفينة القائد لويز، الذي عمد إلى مقدمة السفينة، يستطلع عبر منظاره، وفي المقابل رأى برج المراقبة طلائع الأسطول البرتغالي، فبعث الخبر إلى الأمير مبروك، الذي أسرع إلى اعتلاء برج المراقبة وأمر بضرب طبول الإنذار، وبدء تنفيذ الخطة، فأجلَوا كل السفن التجارية، مرسلًا للأمير مطران على وجه السرعة كي يطلعه بالمستجدات، يفارق الراوي أمير بحر؛ ليبدي أثر الرسالة في الأمير مطران الذي استفزَّتْه فاستنفر حراسة الديوان وحامية المدينة منطلقًا إلى معسكر البحرية حيث الأمير مبروك، فيجمع الراوي بين فعلهما إذ صعدا برج المراقبة وظلا يراقبان الأسطول البرتغالي[59].

يفرق الراوي بين الأمير مطران والأمير مبروك حين تختلف مهمة كل منهما متابعًا بينهما، فظل الأمير مطران يراقب بمنظاره، فيبصر قائد الغزاة ينظر بمنظاره ويراقب الحركة، أما أمير بحر فأرسل قاربين تمركزا في الميناء للحراسة والإرشاد البحري، وحين رأى الأمير مطران قاربًا به ضابط يحمل رسالة وجنديان يرافقانه، بلَّغ مبروك أن يتلقاه داخل المعسكر؛ ليريا ما يحمله، ولكن مبروك يستحسن بحكمة الشحري أن يلتقوا بحامل الرسالة في ديوان السلطنة؛ ليلاحظ الرسول هيبتها وقوة شكيمتها، فيصادق عليه الأمير مطران مضيفًا أنه سينثر على جنبات الطريق عددًا من الجنود؛ ليدخلوا الرُّعب في قلوب البردجيز[60].

يقرأ الأمير مطران الرسالة فإذا بها مطالبة بأموال التاجر البرتغالي (الفونسو دي فيجا) الذي مات بالشحر، ولأن الأمير لا يعلم شيئًا عن هذا التاجر يدرك أنها مجرد ذريعة لغزو الشحر، فرد بأنه ربما تكون للسلطان دراية به، ملتمسًا منهم الانتظار أيامًا، محمِّلًا الرسول هدايا ثمينة، وبعد خروج رسول البرتغاليين أراد الأمير مطران التأكد من قصة التاجر، فأمر باستدعاء أهل الشورى السبعة، فأتوا إليه سراعًا، فعاجلهم بالسؤال، وكانت الإجابة واحدة، إذ نفوا جميعًا

معرفتهم به مضيفين أنه محض كذب وافتراء يُراد من ورائه شر وفساد، غير متغافلين عن أخذ الحيطة والحذر، فالعدو مشهور بمكره وغدره، مقترحين وفدًا تفاوضيًا؛ ليطيل فترة التفاوض، لكن البرتغاليين لم يمهلوهم حتى يرسلوا الوفد؛ إذ يدخل حاجب الأمير مستعجلًا؛ ليخبره بأن أمير بحر مبروك بن سلمان على الباب ومعه رسول من البرتغاليين[61].

يحمل الرسول البرتغالي رفض قائده لهدايا الشحريين، مطالبًا بدفع أموال التاجر، وإن لم يدفعوا عينها سيأخذ المدينة عنوة، محددًا لهم مقدارها قاطعًا طريق التعذر بعدم معرفة ماهيتها فهي (أربعة أطنان من الذهب، وثلاثة أطنان من الفضة، مع جميع عقاراته ومزارعه)، ويعلّق الأمير مطران مقوّمًا هذه المطالب بأنها تعجيزية، مقترحًا أن يقابل القائد لويز بنفسه، وهو ما قُوبل بالرفض، وفي نهاية الحوار يضع الرسول البرتغالي خلاصة مطالب البردجيز (إمَّا تأتون بما طلبناه من أموال دي فيجا وإلا فبلادكم لنا)[62].

عندها استيقن الأمير مطران وأهل الشورى أن المعركة قادمة، فوسَّعوا اجتماعهم بدعوة أعيان الشحر كلّهم وقادة الجند ومقادمة الحارات ونقباء الجاليات وزعماء القبائل، لوضع خطة محكمة تصد هذا العدوان، وكانت الخطة قائمة على تأمين المؤن والعتاد، وتفرُّغ الحدادين لصناعة الأسلحة، وتوزيعها على المواطنين القادرين على القتال، والاستعانة بتجار المدينة في توفير الطعام، والاستفادة من المنتجات المحلية والمخزون الغذائي، وإرسال رسالتين رسالة توضيح بالحال للسلطان بدر ورسالة نجدة للأمير عطيف، وشملت الخطة توزيع المقاتلين على خطوط، وتبيان وظيفة كل واحد منهم، وتضمنت موقعًا للمرأة الشحرية المقاومة إلى صف الرجل في التطبيب والطباخة، أما غير هؤلاء من أطفال وشيوخ ونسوة، فينزحون إلى القرى المجاورة[63].

استعد أهل الشحر لتنفيذ الخطة، أما البرتغاليون فقد بيَّتوا النية لاقتحام المدينة حين طالع رسولهم قلَّة الجنود فيها على خلاف ما خطَّط الشيخ مبروك، فاختاروا يوم الجمعة لاستغلال عطلة الأسبوع، وأرادوا السيطرة على الميناء والاستيلاء على معسكر البحرية ومبنى الجمارك، وتأمين الطريق لفرق جيشهم للنفاذ في المدينة، وإحكام القبضة على القصر السلطاني، وعن طريق وصف هذه التحركات العسكرية يرسم الراوي أهمَّ القلاع والقصور والمنشآت الشحرية[64].

رأى الأمير مطران والشيخ مبروك تقدُّم البرتغاليين فأوهموهم بالفرار؛ ليحكموا صناعة كمين من خلف جدران البيوت وعلى أسطح المنازل، إذ رشقهم الرُّماة بالسهام، والتحم بهم الأهالي فأصابوا منهم مقتلة، فانهزم البرتغاليون، وأمر القائد لويز رجاله بالانسحاب، متوعِّدًا بالانتقام وتحويل كل شيء إلى ركام ورماد، إذ إنَّ خطته لليوم الثاني كانت الحريق[65].

وأمام هذا الانسحاب فرح أهل الشحر، ولكنهم انشغلوا ليلهم بتجهيز الشهداء وتكفينهم، وتطبيب الجرحى، أما مجلس الشورى فاجتمع لإيجاد حل لمعضلة التفوق البرتغالي في الأسلحة، فاقترحوا أمرَيْنِ: الأول: عمل سواتر ترابية تتخلل الساحات العامة للتمترس خلفها ومناورة العدو، والثاني: الإحاطة بالعدو في دائرة محكمة ومناوشتهم داخل حِلَقٍ مقفلة[66].

في اليوم التالي رام الطرفان تنفيذ خطتهما، فتمكَّن البرتغاليون من إحراق بعض السفن الراسية، وعند الميناء أضرموا النار في مبنى الجمارك، وما بقي فيه من بضائع، ثم توغَّلت تلك القوة قاذفة حممها البركانية على المستودعات والبيوت، مما أوجع المدافعين عن المدينة، ففارق التسليح واضح، والمعركة بين مقاومين بالسهام وغزاة بالبنادق وطلقات الرصاص، فتقهقر خط الدفاع الشحري، وتغلغل البرتغاليون إلى وسط المدينة، لعمل كمَّاشة لأهل الشحر، لكن الأمير مطران أدرك

خطتهم وطبَّق خطة مضادة لها، إذ جهَّز مقاتلين شرسين من قبائل الحموم وسيبان للإطباق على العدو من خلفه، وهو ما تم تنفيذه، مما أشعر القائد لويز بالهزيمة، فتقهقر مدركًا عجزه عن إخضاع المدينة، ولكنه في اليوم الثالث للغزو يقرر خطة الاكتساح الشامل وتقسيم الجيش على ثلاث فرق، تهاجم كل فرقة موضعًا محدَّدًا من المدينة في التوقيت نفسه، ثم تتقابل القوى في وسط المدينة، فتتوجه صوب القصر السلطاني للاستيلاء عليه[67].

أما أهالي الشحر فأبلوا بلاءً حسنًا وضحَّوا بمئات الشهداء، منهم خمسة من أهل الشورى، وكثر الجرحى فلم تسعهم دار بامعيبد، ففتحوا في كل حي بيتًا للتطبيب، ونقلوا الأموات إلى المغاسل، فاتفق حاكم المدينة مطران وأمير بحرها مبروك على بث روح القتال وحميَّة الانتقام والثأر للشهداء من خلال عدد من الفدائيين الذي سينفذون خطة ستربك حسابات العدو، وذلك أن جهزوا قاربين، وفي كل قارب اثنان من الفدائيين، مزوَّدين ببكرات قطنية مبلَّلة بالزيت تُرمى بالأسهم على سفن العدو فتحرقها، إنه قلب واستخدام لخطة العدو نفسه[68].

أسرع البرتغاليون إلى إنزال قواربهم وتنفيذ خطتهم، فراحوا يحرقون كل ما أمامهم ويطلقون النار عشوائيًا، وهنا يستخدم أهالي الشحر أسلوب الكر والفر على المجامع البرتغالية، فلم يمكنوهم من تنفيذ خطتهم، بيد أن فرقة برتغالية استطاعت محاصرة الديوان الأميري، وقد استبسل الشيخ سالم باعوين في فك الحصار حتى استشهد وثلة من المقاتلين معه، وانسحب الأمير مطران والشيخ أحمد بن دحران من الديوان الأميري، فقنصهم قناص برتغالي، فاستشهدا معًا، وفي هذه الأثناء باشر الزورقان تنفيذ الخطة، فأبحرا نحو سفن الغزاة يرفعان علم البرتغال وعليهم لبس البرتغاليين، وحين لاصقا السفن باشرا بإطلاق الأسهم المشتعلة داخلها[69].

وكان الشيخ مبروك يترقب نجاح مهمة الزورقين، وحين رأى العلامة، أرسل الهندي (سليم مرزا) وألبسه لباس البرتغاليين؛ ليشيع الرعب بينهم بإعلام قيادتهم بحريق سفنهم، فارتعب القائد لويز محاولًا الانسحاب، ولكن الشيخ مبروك كمن لهم في المخرج فانهال عليهم وقتل منهم أعدادًا وكان من بين القتلى الضابط (تي بارا)، حينها استوعب القائد لويز عجز جيشه وخسارته الكبيرة فاستسلم للهزيمة وأصدر أوامره بمغادرة الشحر، وأدرك سلامة انسحابه حين شاهد جيشًا جرَّارًا قادمًا إلى الشحر، والقارئ لا يرى هنا إلا ما يراه القائد لويز، فيشغل القارئ عقله بالسؤال، هل الجيش جيش السلطان بدر أم جيش الأمير عطيف أم جيش آخر؟[70].

وأبصر أهالي الشحر مغادرة العدو البرتغالي فاستبشروا بالنصر وعمَّتهم الفرحة وارتفعت أصواتهم بالتكبير وخرُّوا لله ساجدين، ودأب الشيخ مبروك في تأمين الميناء وتهيئة فرق الإطفاء إلى أن وصله خبر استشهاد الأمير مطران والشيخين سالم باعوين وأحمد بن دحران، فتوجه إلى موضع استشهادهم، وشكَّل فرقًا لتغسيل الموتى وحفر القبور، وأمر بحفر قبر واسع في موضع استشهاد الأمير مطران، ليضمَّه وأهل الشورى السبعة، لكن أهل تريم القاطنين بالشحر قد نفذوا وصية الشيخ أحمد بلحاج بافضل؛ ليدفن في قبة والده، وضم الضريح بقية الشهداء السبعة[71].

يدخل المدينة جيش الأمير عطيف بن دحدح، فيجد العدُوَّ الغازي قد ولى هاربًا، تاركًا وراءَه دمارًا هائلًا، فانضم الأمير عطيف إلى الأمير محمد بن مطران وشكَّلا معًا قيادة لإدارة شؤون البلاد، ويعود الراوي لملازمة الأمير مبروك، وهو يصلي السَّحَر ثم الفجر، وينطلق بعدها ليتفقد أفراد الحراسة الذين أخبروه أن الوضع ساكن ولا توجد هناك أي حركة أو شبهة، فأمر أحد زوارق البحرية في تعقب الأسطول البرتغالي

والتأكد من مغادرتهم المياه الإقليمية للسلطنة، فعاد الزَّورق بالبشارة، فعمد إلى ترتيب وضع الأهالي وصرف الجنود للراحة وتفقد أهاليهم، أما حفظ الأمن والحراسة فتولَّاه جيش الأمير عطيف الذي وقف مع الشحر موقفًا مشرِّفًا[72].

وأوصى الشيخ مبروك مقادمة الحارات بالعناية بالجرحى وإعادة الأسر النازحة، وطمأنة أهل الشحر بزوال الخطر، ثم قصد دار بامعيبد حيث يتم معالجة الجرحى، وأدهشه الممرضون والمسعفون وهم كخليَّة نحلٍ لا تكاد تستكين، فواساهم ونقل إليهم بشارة النصر، وهنا يتدخل الراوي ليبين جنسيات الجرحى، وأن المعركة كانت لكل قاطن شريف في أرض الشحر، فكثير من الجرحى هم من حضارم الداخل والجاليات الهندية والصومالية، ويتوغل أمير بحر بين المصابين فيرى (سلمى) فيتقطن القارئ أنها زوجته مع أنه لا يعرف اسمها، وهذا وضع للقارئ موضع المؤلف[73]، فهي في هذا الموقع مسعفة من المسعفات اللواتي أنهكهن التعب والأرق، فيمشين ويتهادين بين المرضى يضمِّدْنَ الجراحات ويحضِّرن الأدوية[74].

يستعير الراوي مدركات أمير بحر؛ ليصوِّر حجم الخراب الذي لحق بالشحر، وهو في كل ذلك محوقل ممتثل لقضاء الله وقدره، ولمَّا ولج بيته وجد بابه مخلوعًا ونوافذه متكسرة وجدرانه مسودَّة، فشمَّر عن ساعده يصلح ويرمم، متفقِّدًا جيرانه وأهل حارته موجِّهًا بالمساعدات الطارئة لهم، ثم يعاين بقية أحياء الشحر، مشكِّلًا فرقًا تطوُّعية لتقديم العون للأهالي[75].

يذهب الشيخ مبروك إلى بيت آل بامعيبد موقِّرًا العربات التي ستنقل كل جريح إلى بيته حتى تم إفراغ المصحة، وأذن بانصراف كل ممرض وممرضة إلى بيته، وتحزم زوجته سلمى أغراضها قافلة معه، وهي تقاوم دموعها مما ترى في طريقها من آثار الحرب وانتشار الحرائق، وهنا يتدخل الراوي ليعلِّق (ولولا لطف الله لعمَّ الحريق كامل المدينة ولأصبحت فحمة كبرى)[76] ، وحين يصل أمير بحر وزوجته إلى باب بيتهم يجدان ابنهما أحمد يترقَّب وصولهم فهرولا إليه، وانطلق يعانقهما، وبقدر فرحهما بطفلهما كان الحزن مخيِّمًا بخبر استشهاد أخي مبروك وصهره، ويختم الراوي هذا المشهد بأنه (لمْ يخلُ بيتٌ في الشحر ليلتَها لمْ تَنُحْ نساؤه)[77] فبَيْتُ أمير بحر مجرَّد نموذجٍ لكل بيوت أهل الشحر وقتئذ.

وطريقة الراوي توثيقية، يوثق يوم رجوع السلطان بدر، وكيفية استقبال الأمير عطيف والأمير مبروك والأمير محمد بن مطران له؛ إذ أسرعوا إلى لقائه بتبالة، فساروا بجواره ومعه جنوده حملة البنادق النارية وجيشه الجرَّار، فولج قصر السلطنة سائلًا عن الأمير مطران وأهل الشورى السبعة، ليُخبر بأنهم استشهدوا، يتألم السلطان ملتمسًا من أمير بحر أن يحكي له الأحداث بالتفصيل، ثم أخذ السلطان يسأل ويستفسر والأمراء يجيبونه، ثم يخص السلطان بدر سكرتيره الخاص يسلم بإحصاء عدد القتلى وتسجيلهم، فيفصل له السكرتير يسلم شهداء الغزو البرتغالي بآلية تاريخية (447) شهيدًا من أهل الشحر، و(216) شهيدًا من أهل حضرموت الداخل، و(36) شهيدًا من أهل الصومال، و(22) شهيدًا من الهنود، فإجمالي عدد الشهداء (721)، واختلاط أعراق الشهداء يدل على مشاركة جميع الشرفاء في الدفاع عن الشحر[78].

يدعو السلطان أعيان البلاد لزيارة ضريح السبعة وقراءة الفاتحة عليهم، وهناك يترحَّم عليهم مُشِيدًا بشجاعتهم في دحر المعتدي، مخصِّصًا لكل أسرة من أسر الشهداء ما يكفيه، داعيًا الشباب للانخراط في السلك العسكري؛ لحماية البلد، وتثبيت دعائم الدولة الكثيرية، ومجابهة كل عدو يتربص بها، أمَّا الفقهاء فسيستقدم رجالًا من أهل العلم من وادي حضرموت؛ ليتولوا تعليم النشء، وأمَّا التُّجَّار وأصحاب الحوانيت

فسيشكل لجنة لحصر الأضرار وتعويض كل واحد منهم، ثم يثمّن دور المرأة الشحرية ويكافئ كل مشارِكَةٍ في الدفاع عن الشحر، مقرّرًا إرسال كُلَّ مَنِ استعصى علاجُه في الداخل إلى الخارج، وأخيرًا يأمر السلطان بتسوير ضريح السبعة؛ لتخليد ذاكرهم[79].

**الشحر في رواية (عذراء شكلنزة):**

تبدأ الرواية بتعريف الراوي بشكلنزة بعد عنونته الفرعية (شكلنزة 1224هـ) بواسطة جملة اعتراضية، هي (من قرى ساحل حضرموت، وتبعُدُ عن الشحر 18 كيلومترًا)[80] ، مبينًا أن طلقات النار المنبعثة منها لم تكن تحذيرًا من الجيش السعودي؛ إذ يكمن الراوي في موقع خارجي متعالٍ، بيد أنه ما يلبث أن يخرج من مكمنه؛ ليرافق الجيش وهو يطوّق القرية من اتجاهاتها الثلاث؛ تحسُّبًا لأي طارئ أو كمين قد يكون مُعَدًّا من الإمارة البريكية، التي يعرّفها الراوي بأنها تحكم ساحل حضرموت، وتتخذ من مدينة الشحر عاصمة لها[81].

يأمر قائد الجيش ابن قملا كتيبة باستطلاع الطلقات، فيتغلغل الفرسان خلال أشجار النخيل والنارجيل، ويستجدي الراوي حواسَّهم وهم يستمعون لأهازيج الفلاحين مرورًا ببيوت القرية الطينية من دون أن يلمحوا أي وجود مُرِيب لمحاربين أو مدافعين، إلى أن تقع أعينهم على جمهرة من الناس المتحلِّقين على شيء ما، وبينهم رجل يحمل بندقية، ويستخدم الرَّاوي علامة التقويس كي لا يخدش مرافقته للجيش، فيعرّفه بأنَّ هذا الرجل (حارس الدولة)[82].

تصهل خيول القادمين فتستدعي انتباه أهل القرية، فإذا هم أمام كتيبة يتقدَّم قائدها فيرى جثة شاب مخضَّبة بالدم، وهنا يبدأ الحوار عن حادثة إطلاق النار، ففي حين أنهم في أخذ ورد يقطع حوارهم صوتٌ جهوريٌّ بين البيوت ينادي (اذكر ربك يا مؤمن لا إله إلا الله لا إله إلا الله)، فيستفهم قائد الكتيبة بأداة الاستفهام ما للسؤال عن فعل الشخص لا الشخص ذاته، فيأتيه الجواب بمجرد سماع الذكر؛ ليدل على معرفة وثيقة بعادة صاحبه فيُعرَّف بأنه رجل صوفي وعم القاتل دحمان، أي إنه يحوي الصفتين اللتين يبحث عنهما قائد الحملة ويبغي القبض عليهما[83].

يبرز من بين البيوت الطينية الشيخ سعيد الدرويش، وهو يتوكَّأ على عصاه حافيًا مناديًا نداءَهُ المعهود، فهو نموذج للمسلم المسالم الموحِّد لله في وقت السِّلم، وحينها يستعمل الراوي مدركاته وهو يحملق في وجوه الحشد متفحِّصًا الجُثَّة، صائحًا حين تعرَّفها غير غافل عن ذكر الله (سعد.. خطيب ابنتي.. سعد.. لا إله إلا الله... لا إلــه إلا الله) ثم يقفُ مزمجرًا على غير استكانته، فالموقف الآن موقف شدة، سائلًا: مَنْ قتل سعدًا؟ وعندما لمْ يتلقَّ إجابة من معارفه، يتوجَّه للفرسان متوعِّدًا (لماذا قتلتم سعدًا؟ ماذا عمل لكم سعد؟)، فالصوفيُّ الحق مؤمن مستكين في ذاته، بيد أن يستشاط غضبًا إن اعتُدِي على حدود الله، حينئذ يجيبه حارس الدولة بأن دحمان هو القاتل، يخرُّ الشيخ سعيد على ركبتيه محوقلًا، ويوجِّه قائد الكتيبة بأخذ المقتول؛ ليُغسَّل ويُكفَّن، مُرسِلًا أحد مرافقيه إلى أميره ابن قملا ليُعلِمَهُ بطبيعة الحال، ويستقدمه لشكلنزة[84].

في إثر تلك الرسالة يتحرك الجيش؛ ليدخل شكلنزة مروِّجًا أنه من ديرة المسلمين، فيترك المزارعين مزارعهم والعُمَّال أعمالهم؛ ليتفقَّدوا أُسَرَهم، أمَّا مقدّم البلاد مبارك عبدان فانطلق نحو سوق القرية وساحتها، حيث التقى بمقادمة الحارات الثلاثة، وبعد المشاورة يتخذ مقدم البلاد مبارك عبدان القرارات الأربعة (مواساة آل بن سعد، حراسة القرية ومراقبة تحركات الجيش، إعلام الأمير ناجي بن بريك، مقابلة قائد الجيش والاستعلام منه عن هدفهم)[85].

ينتقل الراوي لخيمة ابن قملا حيث يكشف له قائد الكتيبة أن شكلنزة ملتقى طرق ومنزل القوافل من الشحر إلى وادي حضرموت، بيد أنه يعترف بضحالة

معرفته، لذا استقدم معه مقدم القرية عبدان، فيسأله ابن قملا عن معنى شكلنزة؟ فيجيبه المقدم بأنها كلمة عربية مركبة تعني الشكل النزه، يمتعض حينها ابن قملا؛ إذ لم يَرُقْ له هذا التفسير، ثم يطلب وصف شكلنزة، فيصفها له، وتستمر الأسئلة من ابن قملا عن المزارع والأسواق والمساجد، والأجوبة من المقدم عبدان، ثم تنقلب الأدوار، فيسأل عبدان عن مقصدهم فيرد ابن قملا بأن هدف حملته إزالة مظاهر الشرك ونشر الدعوة وتصحيح العقيدة، فيبين له عبدان بأنه لا يوجد في شكلنزة غير قبب المسجد التسع، ويستغل ابن قملا هذه الإجابة ليتقصَّى صلاح الناس، ومدى انتشار البدع، وأمر الشيخ سعيد الدرويش النموذج الرهينة بين يديه، آمرًا المقدم عبدان أن يخبر أهل شكلنزة أنَّ عليهم ترك أعمالهم إذا نُودي للصلاة وإلا تعرَّضوا للجلد، فيلوِّح ابن قملا بالعقوبة على الملأ، أمَّا الشحر فأرسل رسالة للأمير ناجي بن بريك[86]، مما يوضح بعض أساليب الحملة.

يتحول الراوي إلى منزل آل الدرويش؛ ليصوِّر شعور عذراء من غرابة هذا الصباح، على الرغم من أنها تمارس عاداتها نفسها، صلاة الفجر فتلاوة جزء من القرآن وقراءة الأوراد، ثم طحن البر وعجنه وقرصه وخبزه وحفظه في خزانة حفظ المواد الغذائية، ثم ما بقي من أعمال المطبخ، شاغلة نفسَها في أثناء ذلك بالذكر[87]، ومن خلال تقويس الكلمات وتبيان معناها يتدخل الراوي لتوضيح خصوصيات البيت الحضرمي، مثل المسرفة السفرة الخوصية[88]، والشطفة السجَّادة الخوصية، والضيقة غرفة مستطيلة تلي مدخل مقدمة الدار، والدرع حوش البيت[89]، أو من خلال التفسير والشرح مثل تفسيره وشرحه لكلمة الراء (هو برعم شجرة يحشو به الوسائد والمساند)[90] ، وكلمة المناصف (وهي التمرة التي نضج نصفها ونصفها الآخر أحمر ويتأهب للنضوج)[91].

يُطرق باب آل الدرويش، فإذا بالباب شهباء، مُجهِشةً باكية محتضنة صديقتَها عذراء، فينتقل الراوي إلى مدركات أمّ عذراء؛ إذ يسيطر الذُّعر عليها مستفهمة قلقة على زوجها، فتخبرهما عن مقتل سعد، ويظهر الراوي أثر الخبر في عذراء وأمها، مُبجِرًا عبر استحضار عذراء لماضيهما زمان كانا يدرسان في المعلامة كتب الفقه، كالمقدمة الحضرمية وسفينة النجاة، ويحفظان جزئي عمَّ وتبارك عن ظهر قلب مستعينين بالقاعدة البغدادية، ويقطع هذا الإبحار طَرْقٌ آخر يأتي بخبر سعيد عن سعد ولكن تداعياته مقلقة، فسعدٌ لمْ يَمُتْ وإنَّما أُصِيب، لذا احتجز ابن قملا الشيخ سعيد الدرويش؛ لأنه عَمُّ دحمان القاتل، فتسأل أمُّ عذراء: ومَنْ هو ابن قملا؟، فتفيدها أخت سعد بأنه أمير الجيش النَّجدي الذي دخل شكلنزة اليوم[92].

تبيت عذراء ليلة كئيبة مؤلمة؛ فأبوها محتجز، وخطيبُها جريح، فيعود بها التذكُّر إلى أيام طفولتهما حين كانا يلعبان سدَّة مفتوحة سدَّة مقلودة[93]، والتو[94]، والبوش[95]، والحبل[96]، وغيرها من الألعاب[97]، والراوي في أثناء هذا الاسترجاع يتدخَّل ليفرِّق بين ألعاب الذكور وألعاب الإناث والألعاب المشتركة بين الجنسين، ثم يتتبَّع النموَّ الجسديَّ والنفسيَّ لعذراء حتى بلغتْ سنَّ النضج، فاحتجبتْ وتبرقعتْ وقرَّتْ في بيتها فلا تخرج إلا لضرورة مثل جلب الماء وجمع الحطب، ثم يحكي الراوي قصة الحب بينها وبين سعد إلى أن خطبها من أبيها، رغم توعُّد دحمان لهما بإبطال زواجهما بدعوى أنه الأحق بابنة عمه من سعد الذي لا يمتُّ لها بصلة[98].

في فجر اليوم التالي استيقظت شكلنزة على جلبة الخيول، فاختفتْ تسبيحات الشيخ الدرويش، فيركز الراوي على المقدم عبدان الذي تفاجأ بابن قملا يَؤُمُّ بالناس، ثم يخطب فيهم واعظًا أهل شكلنزة وشاحذًا همم رجاله، فأطال الخطبة – مع أنَّ السُّنَّة اختصارها–

حتى طلعت الشمس، وعند خروج ابن قملا من المسجد عرض له المقدم عبدان، ودار بينهما حوار مكتظ بالتقويمات الموجَّهة للشيخ الدرويش من جهة ابن قملا، فالشيخ سعيد في نظره صوفي لم يستبن أمرَه بعدُ ولا بُدَّ من التحقيق معه، رافضًا الشفاعة فيه، عندها لم يَنْبِسِ المقدَّم عبدان ببنتِ شفة[99].

يُعلِم المقدم عبدان عذراء بأنَّ ابن قملا يأبى إطلاق أبيها، فتشعر بذهول وخذلان منه مُوقِدة في نفسها عزيمة المقاومة والمقارعة بالحُجَّة، فجمعت حولها نساء، واتَّجهْنَ إلى خيمة ابن قملا، لمناقشة سبب القبض على أبيها، وتكون حجة عذراء أقوى مبينة، هي عدم دراية ابن قملا بشفاء سعد وجهله بالمعنى الحقيقي للتصوف، فيأمر بإفراج سراح أبيها، ولكن لبَّ ابن قملا قد أصبح رهين إعجابه بعذراء، فكان حديثُها يجول في خاطره، مُحدِثًا في تفكيره تغييرًا، ومُثِيرًا في نفسه تساؤلات، ولم يقطع دواخله إلا صوتٌ يستأذن لشيوخ الدعوة، فأدخل الثلاثة مبينًا لهم مهمتهم نشر التوحيد وإزالة مظاهر الشرك ومحاربة البدع في القرى والبلدات المجاورة مثل الصداع[100] وغيل باوزير [101] والشحر [102].

يظهر أثر عذراء في ابن قملا من خلال تبنِّيه رؤيتَها في صوفية حضرموت؛ إذ أضحى يرى أنْ ليس ثمَّةَ شركٌ بين أهل السنة في جزيرة العرب، ولكنْ توجد مخالفات شرعية يجب إزالتها والتنبيه منها بالموعظة الحسنة، فيستقبل ابن قملا أمير الشحر ناجي بن علي في جَوٍّ من حسن التفاهم، موضحًا له أنهم جيش دعوة لا جيش غزو، قدم إلى الشحر؛ لنشر تعاليم الإسلام الصحيحة، وإزالة البدع ومحاربتها، وهو ما وافق عليه أمير الشحر مطمئنًا من أن حملة ابن قملا لا يُشكِّل خطرًا على سلطة آل بريك، وإنما دوافعها عقائدية، منوِّهًا إلى أنَّ مذهب أهل الشحر شافعي لا حنبلي فلا يشغلوا الناس بالتباين المذهبي، فاتفق الطرفان على بنود المعاهدة الخمسة طاعةً لله ورسوله: (إزالة كل القبب على الأضرحة وطمسها وتسويتها، معاقبة كل متخلِّف عن الصلاة أو مقصِّر فيها، محاربة البدع واستتابة مرتكبيها، ترك كل العادات التي لمْ تَرِدْ في السُنَّة، القيام بالدعوة وتحمُّل نفقاتها)[103].

يعود الشيخ الدرويش إلى بيته وسرعان ما يسأل عن حال سعد، وتقترح عليه زوجته أن يتناول فطوره ثم ينطلق إلى بيت سعد، ولكنه يرى أن يصلي الضحى أولًا ثُمَّ يزور سعدًا، فقد أفطر عند ابن قملا وجماعته، فتقوِّمهم عذراء باستخدام أسلوب التعجُّب بين حالَيْنِ، سعتهم في إكرام الضيف وضيقهم في تحمُّل مخالفيهم، فيرد عليها أبوها –الذي اتخذه الروائي قناعًا ليُدلِي برأيه عن هذه الحملة ومبتغاها السياسي المغلَّف بالهدف الديني– بأنهم من أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي عُرِف بتشدُّده وتمرُّده وخروجِه على شيوخه، وهم يفرضون تعاليمهم وإنكارهم على عامَّة المسلمين الاختلافَ في الأمور الفقهيَّةِ، واستخدامَهم الدِّينَ لتثبيت دعائم دولتهم، والتطرُّفُ دائمًا يأتي بما لا تحمد عقباه، فما كان ينبغي بأن يأتي إلى حضرموت بهذا الجيش الجرَّار ليهدم القُبَب، كان يكفيهم إرسال داعية متمكِّن ليقنع الناس بالحُسنى والموعظة، ولكن آل سعود أرادوا تثبيتَ حكمهم، وإظهارَ قُوَّتِهم، فأرسلوهم إلى أطراف الجزيرة العربية[104].

يقطع الشيخ سعيد الدرويش الحوار بأنه تأخر عن صلاة الضحى وسيتأخر عن عيادة سعد، وكمْ ودَّتْ عذراءُ أن تعود سعدًا مع أبيها، ولكن عادات البلد لا تسمح بهذا، ولكنَّها ستصحب أُمَّها لمقابلة أمِّ سعد ومواساتها في إصابة ابنها، وحين يذهب الثلاثة إلى بيت سعد، يدخل الشيخ سعيد غرفة الاستقبال الخاصة بالرجال، وتوجهت المرأتان إلى غرفة الحريم[105].

يعود الثلاثة إلى بيتهم وهم في حالة كآبة لردَّة فعل أهل سعد، فصمتتْ عذراءُ واستغرقتْ في الحُزن، وفزع

الشيخ الدرويش إلى مصحفه يتلوه بصوتٍ جهوريٍّ يُبَدِّدُ وَحشَةَ الجَوِّ الكئيب، والتزم بيتَه، حتى أنه لمْ يُصَلِّ العصر مع جماعة المسجد، ولمْ يخرج من خلوته إلا على قرع رسول ابن قملا بابَ بيتِهِ، فيزوره ابنُ قملا خاطبًا عذراء، فهي امرأة يتمنَّاها كُلُّ صاحبِ مروءة، ويردُّهم الشيخ سعيد ردًّا جميلًا بأنه لا يجوز خطبة الرجل على خطبة أخيه[106]، عندها يعطي الأمير ابن قملا مهلة أسبوع لسعد، ويحلّق الراوي ليقابل بين تقويمات جمعيَّةٍ لوجهات نظر أهل القرية، ويتحاور سعد مع أخته سعيدة، ويرسلها لعذراء ليتأكد من خبر ابن قملا، فتعرف سعيدة خبر الخطبة، ورفض عذراء وأبيها؛ لأنها تتعارض مع الشرع[107].

ينقضي الأسبوع وتنتهي المهلة والأمير ابن قملا ينتظر خبر آل الدرويش، ولمَّا لمْ يصلْهُ، امتطى جوادَه وتوجَّه إلى بيتهم، ولكنَّه لمْ يَجِدِ الشيخ، وإنَّما وجدَ زوجته التي استقبلتْهُ وأدخلتْهُ غرفة الضيوف، فيعلّق الراوي من خلال معارف ابن قملا على عادات أهل الريف والبوادي، فهي تكاد تكون متشابهة في عموم الجزيرة، والمرأة في هذه المجتمعات عاملة في الزراعة ورعي الأغنام وجلب الماء من الآبار؛ لذا لا تلتزم العباية المعروفة في المدن ولا ترتديها، وإنما لها ثوب مفصل لحاجتها، وتغطي رأسها بالنقاب، وتضع على وجهها البرقع ذي الثقوب المفتوحة أمام العينين، فتضمن حرية الحركة، ومكارم الأخلاق هي القانون في هذه المجتمعات[108].

تتضايق عذراء من زيارة ابن قملا، لكنَّ أمها البدوية ترى أنه في حكم الضيف، فتقدِّم له ضيافته، أما ابن قملا فيعلّق على اسم عذراء الدرويش لارتباطه بالصوفية مفضِّلًا أنْ تُدعَى عذراء شكلنزة، فترد عليه عذراء ردًّا مُفحِمًا بأن في نفسها شيئًا من ابن قمله، ولكنها الأسماء والألقاب التي تلحق بالإنسان من دون إذنٍ أو رغبةٍ حَسُنَتْ أو قَبُحَتْ، وكلا اللقبين لا يخفي الأصل الدهمي له، ولا السيباني لها، مبينة له تسمية شكلنزة، وهو ما عجز عنه مقدم البلاد عبدان، فأعجب الأمير بفهم عذراء، وأراد معرفة ردّها خطبتَه، فتؤكد له أن المقادير مكتوبة، وأنها مخطوبة لسعد، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه، عندها نهض ابن قملا مغادرًا[109].

تنقضي الأربعون يومًا المحدَّدة للمكوث بشكلنزة، وقد أكمل الدعاة مهمَّتَهم في تسوية القبور المُشْرِفَة بالأرض ونهي العوام عن التبرك بها وتقديسها، فيستعد الجيش للرحيل بعد أن راقتْ لهم شكلنزةُ وأهلُها، ولم يعكِّر صفوَهم إلا وفاة الداعية محمد بن فارس، الذي أدركتْهُ المَنِيَّةُ في مدينة الشحر، فدفنوه في مقبرة الشيخ فضل، واحتسبوه شهيدًا للدعوة، فيودِّع الأمير ناجي بن علي ومعه أهل شكلنزة الجيش، وحينما غاب وتوارى عن أنظارهم، اتجه الأمير ناجي وخطب في الناس مؤكِّدًا على ماعاهد عليه ابنَ قملا من إقامة شرع الله ونبذ مظاهر الشرك، مستبقِيًا الشيخ سعيد الدرويش وابنته عذراء؛ ليرأى رأيهما في ابن قملا، فيوضح له الدرويش أنَّ ابن قملا يقدِّس تعاليم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والشيخ محمد متشدّد في مسألة زيارة القبور التي لها آدابها، ويجبُ أن يتخلَّق بها المسلم، داعيًا الأمير ناجي بن علي إلى زيارة السيد العطاس، فقد آن وقتُها، فهي زيارة تنعش الأرواح والأسواق، فللزيارة جناحان روحاني واقتصادي[110].

تعود إلى شكلنزة طبيعتها الهادئة المستكينة، حيث زقزقة العصافير وتنقُّلاتها من شجرة لأخرى، ويرجع الشيخ الدرويش من المسجد إلى بيته، فيجد زوجته الطيبة قد خبزت العجين، وأعدت القهوة وجهَّزت الإدام، لكنه افتقد عذراء فسأل عنها، وحين دخل غرفتها أحسَّ بما يلم بها فهي كثيرة الانشغال والتفكير في مصير خطبتها من سعد، مقدِّمًا لها طلب الأمير ناجي بن علي بفتح (معلامة) وأنه سيبعث

بالمصاحف والكتب الدينية من الشحر، ويعطيها أُجرتَها التعليمية[111].

أما المهمة الثانية فهي قصد بيت سعد ليفصل في موضوع الخطوبة، فسعد يتماثل للشفاء وهو متمسك بعذراء، بيد أن أبويه يخافان عليه من تبعات ذلك، ولا مجال لتلافي الخطر إلا أن يعلم دحمان بفسخ خطوبة سعد، وزواجه من غيرها، ويقطع هذا الأخذ والرد، جندي من جنود الإمارة البريكية يبحث عن الشيخ سعيد الدرويش ليسلِّمه جثة ابن أخيه دحمان، الذي غرق في بحر العيص بعد أن كان مختبئًا بالحامي، يدبِّر للهرب إلى ممباسا، فنهض الشيخ سعيد إلى المغسلة من دون أن يُظهِرَ الراوي أي مشاعر انتابته، أما عذراء فقد بكت كثيرًا رغم كونه سبب معاناتها، أما سعد بن سعد وأمه فقد اطمئنا بخبر وفاة دحمان؛ إذ كفاهم الله شرَّه وانتصف منه[112]، وهذه سمة من سمات الرواية المونوفونية وهي معاقبة المسيء والمخطئ[113].

يبدأ الفصل الأخير في الرواية بأسلوب التعجُّب من هدوء شكلنزة بعد ما كان فيها من جلبة واضطراب، فيتابع الراوي نسوة شكلنزة وأعمالهن المختلفة، ليركز على مجموعة عذراء وصديقاتها بمعيان الحومرة، وهو بركة ماء مسوَّرة أُعِدَّت لاستحمام الإناث فلا يقربها الرجال، حيث يستحمِمْنَ ويتفنَّنْنَ في دعك أجسادهن بالحتيكة[114]، وهي ورق سدر يُزلْنَ به ما علق في أجسادهن من شوائب، فما أن تنتهي إحداهن من غسلها إلا وجسمها ينضح برونق الحسن والجمال[115]، وبعد الاغتسال تقابل عذراء صديقتها مزنة سماعيلية القادمة من الشحر؛ إذ يقضي أهل الشحر خريفَهم بشكلنزة، فلا خريف في الشحر، حيث تفسد الملوحة أي محاولة للإنتاج النباتي، وتنعم شكلنزة وأهلُها في هذا الموسم بنازليها وأحبابهم من الشحر، فتمتدح مزنة حُسنَ (عذراء الدرويش) وجمالَها، فتعترض عليها صديقتُهما شهباء بأنَّ الاسم قد تغير لـ(عذراء شكلنزة)، حسبما أمر ابن قملا، لينفتح الحوار بين الصديقات الثلاث على تقويم حملة ابن قملا، فينقل الراوي على لسان مزنة تقويمًا للحكايات التي تُروى في الشحر عن طبيعة هذا الغزو، ففيها زيادة وتهويل لا يقبله العقل السليم، وعليه تُقَوِّم عذراء أهل الشحر بمبالغتهم في القصص والأخبار، مُلخِّصةً لمزنة ما حدث من توافق حادثتي دخول الجيش السعودي شكلنزة وإطلاق النار على سعد، وتداعيات ذلك من اعتقال والدها، ثم مقابلتها لابن قملا وتبيان سُنّيَّةِ أهل حضرموت، فجيش ابن قملا جيش دعوة لا جيش غزو، وهنا تستنكر مزنة سماعيلية مُفنِّدَةً أن تكون الدعوة في حاجة إلى جيش، وإنما أرسل آل سعود هذا الجيش؛ ليوسِّع لهم رقعة ملكهم، وقد أتتِ الأخبار أنهم سجنوا ابن قملا حينما عاد خالي الوفاض إلا من معاهدات سلام[116].

تقطع شهباء حوار السياسة لتلج إلى حوار الاجتماع، فتسأل عن خبر خطوبة مزنة التي يعتليها الحزن عند سماع السؤال؛ لأن أهلها رفضوا خاطبها؛ لأنه لم يكن علويًا[117]، مخالفين تعاليم النبي ﷺ حين قال: (إذا جاءكم مَنْ تَرضَوْنَ دِينَهُ وخُلُقَهُ فزَوِّجُوهُ)[118]، والخاسر الوحيد البنات والنتيجة الحتمية عنوستهنَّ[119].

يتجهز أهل شكلنزة لزواج سعد وعذراء، فيُغدِقُونَ عليهما الهدايا والهبات، داعين لهما بالسعادة التامة، ومن تلك الهدايا هدية الأمير ناجي بن بريك؛ تكريمًا لمواقف عذراء النبيلة في إسداء النصيحة وتنبيها الجيش السعودي من مهاجمة الشحر[120].

**الهوامش:**

(1) وقد تنطق بضم الشين، يُنظر: الشهداء السبعة، ص 22.

(2) يُنظر: الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي)، ص 338-339، 413.

(3) يُنظر: الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفيها، ص 502-503.

(4) يُنظر: الشهداء السبعة، ص 27.

(5) يُنظر: الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفيها، ص 514-517.

(6) يُنظر: ميناء الشحر في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي (دراسة تاريخية)، ص 127-134.

(7) إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص 219.

(8) حور الشحر: ضاحية من ضواحي مدينة الشحر، يسكنها رجال الدين والفقهاء، يُنظر: الشهداء السبعة، ص40.

(9) يُنظر: حملة بن قملا الوهابية على حضرموت، ص 77.

(10) يُنظر: السبعة، ص 7.

(11) يُنظر: أميرة الشحر، ص 4.

(12) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 6.

(13) يُنظر: الرواية التاريخية بين الحوارية والمونولوجية، ص 35-36.

(14) يُنظر: بعيدًا عن الشعر قريبًا من النثر، ص 164-176.

(15) يُنظر: السبعة، صفحة الغلاف.

(16) يُنظر: الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفيها، ص 516-517.

(17) يُنظر: أميرة الشحر، ص 9-11.

(18) يُنظر: شعرية التأليف، ص 51.

(19) يُنظر: أميرة الشحر، ص 12-20

(20) يُنظر: أميرة الشحر، ص 25-32.

(21) أميرة الشحر، ص 34.

(22) يُنظر: الأمثال والتعابير الحضرمية، ج1 ص 163.

(23) يُنظر: الأمثال والتعابير الحضرمية، ج 2 ص 12.

(24) لمعرفة المزيد عن الحيونة ووظيفتها التقويمية، يُنظر: التقويم الأيديولوجي في روايات يوسف زيدان، ص 138-143.

(25) قال تعالى ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾، الشعراء، آية 227.

(26) يُنظر: أميرة الشحر، ص 35-38.

(27) يُنظر: شعرية التأليف، ص 75.

(28) يُنظر: أميرة الشحر، ص 39-42.

(29) يُنظر: أميرة الشحر، ص 43-46.

(30) المقارنة: مماثلة تقرن بها الشخصية المُقَوِّمَة -اتكاء على رؤيتها الأيديولوجية- بين موضوعين أو أكثر لاستنتاج قرار تراتبي، فتُميل كفة على أخرى، يُنظر: التقويم الأيديولوجي في روايات يوسف زيدان، ص 129.

(31) يُنظر: أميرة الشحر، ص 54-67.

(32) يُنظر: أميرة الشحر، ص 69.

(33) أميرة الشحر، ص 74.

(34) يُنظر: أميرة الشحر، ص 75-76.

(35) أميرة الشحر، ص 81.

(36) يُنظر: أميرة الشحر، ص 80-81.

(37) الغسة الغيلية: أوراق سدر تستعملها المرأة الحضرمية ملطفاً ومرطباً للوجه والبشرة والشعر، يُنظر: الطب الشعبي في حضرموت، ص 224.

(38) يُنظر: أميرة الشحر، ص 82.

(39) يُنظر: أميرة الشحر، ص 88-89.

(40) يُنظر: أميرة الشحر، ص 93.

(41) يُنظر: أميرة الشحر، ص 94-95.

(42) أميرة الشحر، ص 96.

(43) يُنظر: أميرة الشحر، ص 97-101.

(44) يُنظر: أميرة الشحر، ص 111-120.

(45) حيرج: هي أم المشقاص وفيها بندر يقصده أهل الهند ومقديشو، ويتوسمه أهل الشحر وحضرموت، ومن ورائها سيحوت، يُنظر: إدام القوت، ص 231.

(46) يُنظر: أميرة الشحر، ص 122-125.

(47) يُنظر: السبعة، ص 14.

(48) يُنظر: السبعة، ص 15-16.

(49) البردجيز: كلمة محرَّفة للفظة البرتغاليين، يُنظر: المؤتمر العلمي الثاني (التاريخ والمؤرخون الحضارمة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، بحث بعنوان (البرتغاليون في مصادر القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، قراءة تاريخية في النصوص) ص 13-14.

(50) يُنظر: السبعة، ص 15-21.

(51) يُنظر: السبعة، ص 22-23.

(52) قصيعر: بلدة تقع شرق الشحر، وفيها كثير من مشايخ آل باعباد، يُنظر: إدام القوت، ص 227.

(53) الحامي: بلدة قريبة من الشحر شبيهة بها، لولا ما يتخللها من أشجار النارجيل، وبها عين ماء حارة، يزعم أنها تشفي من بعض الأمراض الجلدية، يُنظر: إدام القوت، ص 222.

(54) يُنظر: السبعة، ص 23-28.

(55) سيئون: مدينة من أقدم المدن بحضرموت، جعلها السلطان بدر أبو طويرق عاصمة لدولته، يُنظر: إدام القوت، ص 674-692.

(56) يُنظر: السبعة، ص 35-40.

(57) العيص: بلدة تبعد عن الشحر قرابة ساعة ونصف، محفوفة بالمزارع وأشهر منتجاتها التبغ، يُنظر: إدام القوت، ص 221-222.

(58) يُنظر: السبعة، ص 41-60.

(59) يُنظر: السبعة، ص 45-47.

(60) يُنظر: السبعة، ص 46-48.

(61) يُنظر: السبعة، ص 49-52.

(62) السبعة، ص 54.
(63) يُنظر: السبعة، ص 55-59.
(64) يُنظر: السبعة، ص 61-65.
(65) يُنظر: السبعة، ص 63-66.
(66) يُنظر: السبعة، ص 65.
(67) يُنظر: السبعة، ص 68-74.
(68) يُنظر: السبعة، ص 72-74.
(69) يُنظر: السبعة، ص 74-75.
(70) يُنظر: السبعة، ص 76-77.
(71) يُنظر: السبعة، ص 77-78.
(72) يُنظر: السبعة، ص 78-8
(73) يُنظر: شعرية التأليف، ص 33.
(74) يُنظر: السبعة، ص 80-81.
(75) يُنظر: السبعة، ص 82-83.
(76) السبعة، ص 84.
(77) السبعة، ص 84.
(78) يُنظر: السبعة، ص 85-88.
(79) يُنظر: السبعة، ص 92-93.
(80) عذراء شكلنزة، ص 7.
(81) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 7.
(82) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 7-8.
(83) عذراء شكلنزة، ص 8-9.
(84) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 9-10.
(85) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 13-14.
(86) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 17-20.
(87) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 21.
(88) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 38.
(89) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 21-22.
(90) عذراء شكلنزة، ص 31.
(91) عذراء شكلنزة، ص 89.
(92) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 24-29.
(93) سدة مقلودة: لعبة تلعب بعدد لا يقل عن خمسة أطفال، يتحكم اثنان منهم في حركة اللعبة وإدارتها؛ إذ يقفان متقابلان وممسكان بأيدي بعضهما، في حين يقف بقية الأطفال بشكل طولي مردِّدين أُغنيةً معيَّنة، محاولين المرور بينهما، يُنظر: سادّة محبوبة، ص 35-37.
(94) التو: وتعرف أيضًا باسم (أول ثاني)، (نون فتح)؛ إذ يرسم مستطيل، ثم يقسم إلى مربعات، ويمسك اللاعب حجارة صغيرة تسمى البد، يرميها على المربع الأول، ويقفز اللاعب في المربعات الأخرى برجل واحدة، ثم يرميه في الثاني وهكذا، يُنظر: سادّة محبوبة، ص 51-52.
(95) البوش: يتم اختيار لاعب عن طريق القرعة، ليتولى عملية التفتيش وإيجاد بقية اللاعبين المختبئين عنه، يُنظر: سادّة محبوبة، ص 22-23.
(96) الحبل: يجلب حبل للقفز عليه من دون أن يلمس اللاعب، يُنظر: سادّة محبوبة، ص 53-55.
(97) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 32-33، لمعرفة المزيد عن ألعاب الأطفال الشعبية في حضرموت، يُنظر: سادّة محبوبة ص 12-55.
(98) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 33-34.
(99) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 36-38.
(100) الصداع: أرض واسعة من أعمال غيل باوزير، بها عين ماء، يُنظر: إدام القوت، ص 154-155.
(101) غيل باوزير: أرض واسعة، فيها عيون ماء غزيرة جارية، ونخل كثير وأكثر ما يزرع بها التبغ، وهي منسوبة إلى الشيخ عبدالرحيم باوزير، يُنظر: إدام القوت، ص 140.
(102) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 38-44.
(103) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 47-48.
(104) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 49-50.
(105) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 53-55.
(106) يُنظر: الحديث في صحيح البخاري، ص 1081.
(107) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 61-62.
(108) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 64-66.
(109) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 67-69.
(110) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 71-77.
(111) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 79-81.
(112) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 82-87.
(113) يُنظر: بناء الرواية، ص 195.
(114) يُنظر: الطب الشعبي في حضرموت، ص 223.
(115) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 89.
(116) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 91-92.
(117) لمعرفة الأسباب والتخريج العلوي لهذه المسألة، يُنظر: الأحكام الشرعية لبعض العادات الحضرمية، ص 62-64.
(118) يُنظر: صحيح سنن الترمذي، م 1 ص 551.
(119) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 93.
(120) يُنظر: عذراء شكلنزة، ص 95.

**المصادر والمراجع:**

أولًا: القرآن الكريم
1- بوريس أوسبنسكي، شعرية التأليف، ترجمة: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999م.
2- رزان محمود إبراهيم، الرواية التاريخية بين الحوارية والمونولوجية، دار جرير، الطبعة الأولى، عمان، 1433هـ-2012م.
3- شفيقة عوض عمر مزود، الأمثال والتعابير الحضرمية، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الأولى، 1444هـ-2023م.
4- شيخة بنت صالح بن محمد شعيب، ميناء الشحر في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1426هـ- 2005م.

5- صبري هادي عبدالله عفيف، الطب الشعبي في حضرموت (دراسة تاريخية وثائقية)، دار الوفاق للنشر، الطبعة الأولى، 1441هـ-2020م.
6- عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، دار المنهاج، الطبعة الأولى، بيروت، 1425هـ-2005م.
7- عبدالله حسين البار، بعيداً عن الشعر قريباً من النثر، دار حضرموت، الطبعة الأولى، 2012م.
8- عبدالله سعيد الجعيدي، المؤتمر العلمي الثاني (التاريخ والمؤرخون الحضارمة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي) بحث بعنوان (البرتغاليون في مصادر القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، قراءة تاريخية في النصوص)، المكلا-2017م.
9- علوي بن طاهر الحداد، الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفيها، دار الفتح للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، عمان، 1438هـ-2017م.
10- علي صالح الخلاقي، حملة بن قملا الوهابية على حضرموت، القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، (مالها وما عليها مع وثائق تاريخية تُنشر للمرة الأولى)، مطبعة وحدين، الطبعة الأولى، المكلا، 1442هـ-2021م.
11- عمر حاج الشعيب، التقويم الأيديولوجي في روايات يوسف زيدان، رسالة ماجستير، جامعة حضرموت، 2021م.
12- عمر عوض خريص، السبعة، دار الأسعاء، الطبعة الأولى، الشحر، 1444هـ-2023م.
13- عمر عوض خريص، أميرة الشحر، دار الأسعاء، الطبعة الأولى، الشحر، 1444هـ - 2022م.
14- عمر عوض خريص، عذراء شكلنزة، دار الأسعاء، الطبعة الأولى، الشحر، 1445هـ-2003م.
15- فؤاد عمر بن الشيخ أبوبكر، الأحكام الشرعية لبعض العادات الحضرمية (الزواج – الوفاة – الاحتفالات والمواسم الدينية)، مكتبة تريم الحديثة للطباعة والنشر، تريم، الطبعة الأولى، 1434هـ - 2013م.
16- محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي)، تحقيق : د إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، بيروت، 1984م.
17- محمد بن عيسى الترمذي، صحيح سنن الترمذي، تحقيق: محمد بن ناصر الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1420هـ-2000م.
18- محمد عبدالقادر بامطرف، الشهداء السبعة، دار الهمداني، عدن، الطبعة الثانية، 1983م.
19- مؤسسة حضرموت للثقافة، سادة محبوبة (مشروع توثيق الألعاب الشعبية بساحل حضرموت).
20- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: أحمد زهوة، أحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1441هـ-2020م.

# Ashiher in the novels of Omar Awad Khurais

**Omar Hajj Omar Alshuaib**

## Abstract

Ashiher is a landmark city in history of Hadhramout as its roots go back to ancient times and deep in history, and it has gone through great events and faced great crises. The novelist Khurais was inspired by the most important political and economic events that Ashiher went thorough in the eighth century AH in his novel The Ashiher Princess, the tenth century AH in his novel The Seven, and the thirteenth century AH, Virgin of Sheklanza, tracing the details of these events and their impact on the city of Ashiher, focusing on the novelist's techniques, styles, and the ways in which they are formed in the novels of Khurais, without losing sight of the fact that these events are reflected in the fabric of his novels. In this tracing, the study focuses on novelistic techniques and their patterns, and the ways in which they are formed in the texts of Khurais' novels, without neglecting to introduce each Hadhrami city mentioned in the novels under investigation, thus blending history and criticism.

**Keywords**: Ashiher, The Ashiher Princess, The Seven, Virgin of Sheklanza.